العرب
الجمعة 2019/12/13
السنة 42 العدد 11557

ليس دفاعا عن هاندكه.. ولكن ردا على أردوغان

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

الكاتب الذي بدأ حياته الأدبية بـ"إثارة سخط الجمهور"، وهي مسرحية كتبها عام 1964، ما زال إلى اليوم يثير غضب البعض. ولم يشفع له نيل جائزة نوبل للآداب عام 2019، بل دفع ذلك أعداءه إلى تسليط المزيد من السخط، انصب عليه وعلى الجائزة السويدية الأشهر في العالم.

ما من شك في أن الكاتب النمساوي، بيتر هاندكه، يجيدُ صناعة الأعداء. وكان قد لفت الانتباه إليه قبل صدور روايته الأولى في مطلع عام 1966، خلال اشتراكه في اجتماع لجماعة 47 في برينستون، وبعد قراءات ومداخلات للكتاب المشاركين استمرت ساعات، تكلم هاندكه فأعرب عن اشمئزازه من كتاباتهم، وتلا كلمة مليئة بالشتائم المطولة، تحدث فيها عن ضعف الوصف عند الكتاب، ولم يسلم منه النقد الأدبي أيضا، ليقول عنه "إنه سخيف مثل هذا الأدب السخيف".

الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، آخر الساخطين الذين انضموا إلى جوقة المنتقدين لبيتر هاندكه، واصفا إياه بأنه ممثل "مجموعة مثقفين مصاصي دماء"، ومنحه الجائزة يكشف وجود هذه المجموعة.

لا نريد أن ندافع عن هاندكه، الذي أنصفته لجنة نوبل. الجائزة اعتراف، حتى ولو كان مثيرا للجدل، بقيمة إنتاجه الأدبي. أما رجب طيب أردوغان، فراح يرمي هاندكه بالحجارة ونسي بيته الزجاجي

شتائم أردوغان للكاتب أعقبت منحَ الكاتب النمساوي هاندكه جائزةَ نوبل للأدبِ. واعتبر أردوغان أن التتويج يعدّ مكافأة على انتهاكات حقوق الإنسان، وذلك على خلفية الانتقادات الموجهة إلى الكاتب بسببه دعمه للزعيم الصربي الراحل، سلوبودان ميلوسوفيتش.

وتسلم هاندكه الثلاثاء الماضي الجائزة التي تبلغ قيمتها تسعة ملايين كرونة (935 ألف دولار)، بينما شارك المئات في وقفتين احتجاجيتين بستوكهولم.

وقال أردوغان إن "تقديم جائزة نوبل للأدب إلى رجل عنصري ينكر الإبادة الجماعية في البوسنة، ويدافع عن مجرمي الحرب، في العاشر من ديسمبر، الذي تزامن مع اليوم العالمي لحقوق الإنسان، ليس له معنى سوى أن اللجنة منحت هاندكه جائزة لانتهاكات حقوق الإنسان".

وضمت تركيا صوتها إلى ألبانيا وكوسوفو وكرواتيا في مقاطعة مراسم تسليم جوائز نوبل احتجاجا على اختيار الأكاديمية لهاندكه (77 عاما)، الذي أعلن صراحة عن دعمه لميلوسوفيتش وألقى كلمة في جنازة الزعيم الصربي الراحل عام 2006.

وكان ميلوسوفيتش قد توفي أثناء محاكمته أمام محكمة جرائم الحرب التابعة للأمم المتحدة.

نفهم أن تعلن صحافية سويسرية، هي كريستينا دوكتريه، قرارها إعادة ميدالية نوبل، التي سبق أن حصلت عليها تقديرا لجهودها ضمن فريق صحي تابع لقوات حفظ السلام الأممية عام 1988؛ احتجاجًا على منح الجائزة هذا العام لكاتب ينكر الإبادة الجماعية في البوسنة، ويعرب دائما عن إعجابه بالزعيم الصربي السابق.

ونفهم أيضا أن يعلن بيتر إنغلوند، عضو الأكاديمية السويدية التي تمنح جوائز نوبل، الذي امتنع هو الآخر عن المشاركة في احتفال تسليم الجائزة لهاندكه، قائلا إن مشاركة مثل هذه ستكون شكلا من أشكال "النفاق".

ولكن، الشيء الذي لا يمكن أن نفهمه هو غضب الرئيس التركي أردوغان.

يرفض أردوغان، ومعه الحكومة التركية، الاتهامات التي تحمّل الدولة العثمانية المسؤولية عن مذابح الأرمن، ويرفض أصلا الاعتراف بحدوث تلك المذابح، ويشكك في ما أسماه "المعلومات الخاطئة والتعريفات المغلوطة"، التي جاءت على لسان الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ويطالب الإدارة الأميركية بالتخلي عن تبني "توصيف أحادي الجانب للتاريخ، واعتماد نهج يأخذ بعين الاعتبار معاناة جميع الأطراف".

وتقول تركيا إن الدولة العثمانية كانت تعيش حربا أهلية وراح ضحيتها أتراك أيضاً. إلا أن الأرمن يقولون إن الدولة العثمانية أبادت نحو مليون ونصف المليون أرمني، خلال الفترة الواقعة بين 1915 و1917.

واعترفت 30 دولة بمذابح الأرمن، منها فرنسا وألمانيا وبلجيكا ولتوانيا وبلغاريا وهولندا وسويسرا واليونان والأرجنتين وأوروغواي وروسيا وسلوفاكيا والنمسا. وانضمت إلى تلك الدول الولايات المتحدة مؤخرا.

وبحسب روايات الأرمن، فإن القوات العثمانية استهدفت أسلافهم من خلال القتل والاعتقال والتهجير، بالإضافة إلى التعذيب والاغتصاب ومصادرة الممتلكات. ويصف المؤرخون مذابح الأرمن بأنها "أول عملية إبادة جماعية في القرن العشرين".

هاندكه، رفض بدوره اعتبار الصرب رمزا للشر المطلق، وعاد من زيارته ساحة المعارك عام 1995، بعد أشهر من مذبحة سربرنيتسا، بكتاب عنوانه "رحلة شتوية نحو أنهار الدانوب والسافا والمورافا والدرينا"، طالب فيه بإنصاف الصرب، مدعيا أنهم إنما ردوا على عمليات استفزازية.

ورغم حملة الإدانة العالمية التي طالته، لم يتراجع هاندكه عن موقفه، ولم يثنه النقد عن السفر، في مارس 2006، إلى بوزاريفاك، لحضور جنازة ميلوسوفيتش، الذي توفي خلال محاكمته بتهمة ارتكاب جرائم حرب وإبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية، حيث ألقى خطبة قال فيها "أعرف أني لا أعرف. لا أعرف الحقيقة، ولكني أنظر، وأسمع، وأحس، وأتذكر. لهذا حضرت اليوم، لأكون قرب يوغسلافيا، قرب صربيا، وقرب سلوبودان ميلوسوفيتش".

ولم يمض أسبوع حتى صرّح للجريدة الألمانية فوكوس، بقوله "كلا، ميلوسوفيتش ليس دكتاتورا ولا يمكن وصفه بسفاح بلغراد، ورحلتي كانت غايتها الأساسية أن أكون شاهدا، شاهدا ليس بمعنى الاتهام، ولا بمعنى الدفاع".

وفي رده على جريدة لوموند عن موقفه من مذبحة سربرنيتسا، أجاب "للحديث عنها، ينبغي إيجاد الوقت المناسب. ينبغي أن ينصت الطرف الآخر أيضا، وألا يتحول الحديث إلى خصام أيديولوجي.. وكما يقول غوته في مسرحية 'توركواتو تاسّو'، ينبغي أن تدور عجلة من الألم والبهجة في الصدر. عندئذ، يمكن أن نتحدث عما حدث".

لا نريد أن ندافع عن هاندكه، الذي أنصفته لجنة نوبل. الجائزة اعتراف، حتى ولو كان مثيرا للجدل، بقيمة إنتاجه الأدبي. والكاتب لم ينكر المذابح التي حصلت، ولكنه رفض أن يحمّل الصرب وحدهم المسؤولية عنها.. بالنسبة إليه كلا الطرفين، البوسني والصربي، يتحملان مسؤولية ما جرى.

أما الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، فراح يرمي هاندكه بالحجارة ونسي بيته الزجاجي. أنكر مذابح الأرمن، التي ارتكبها أجداده، وساهم، وما زال يساهم، إلى اليوم بمذابح ترتكب في دول الجوار.

وفاق الخليج: قلق إيران!

محمد قواص
كاتب سياسي لبناني

للمراقب للبيان الخليجي الذي خرجت به القمة الخليجية قبل أيام أن يلحظ اللهجة الواضحة ضد ما تشكّله إيران من خطر على أمن الخليج، كما أمن المنطقة برمتها. من تلك القمة التي كانت واجهتها الأولى مرتبطة بمآلات الأزمة مع قطر، بدا أن خارطة ترسم قد تكشف ما ينتظر المنطقة في المستقبل القريب. وربما أن في ثنايا العمل الجاري على طيّ ملف أزمة قطر، ما يفتح الباب أمام تفسيرات وتحليلات تتعلقُ مباشرة بالموقف الدولي المقبل حيال طهران.

تنظرُ طهران إلى التوافق الخليجي بعين الريبة والقلق. تقدمت طهران برشاقة داخل التشققات الخليجية متبرّعة بدعم الدوحة، ملوّحة بتقديم الحماية إليها. لم تكن قطر نفسها تحتاج إلى حماية عسكرية، ذلك أنه لم تُظهر الدول الأربع التي قاطعت قطر (السعودية ومصر والإمارات والبحرين) أي نوايا عدوانية تتجاوز التدابير والإجراءات والعقوبات التي اتخذت بما يتسق مع منطق الخلاف مع الدوحة وحدته. ولم تكن الدوحة تنظر إلى العرض الإيراني، وبعده التركي، بصفته محددا لأصول الأمن والدفاع، ذلك أن قطر ترتبط بمعاهدات واتفاقات مع دول العالم، فيما تستضيف على أراضيها قاعدة العديد العسكرية الأميركية وهي أكبر قواعد الولايات المتحدة العسكرية في العالم.

استقبلت طهران مؤخرا الوزير العماني المسؤول عن الشؤون الخارجية يوسف بن علوي. كان واضحا أن طهران تبلغت من ضيفها قرارا خليجيا استراتيجيا لا رجعة عنه بالذهاب نحو الوفاق داخل مجلس التعاون الخليجي. وبناء على هذا المعطى، أعاد الرئيس الإيراني حسن روحاني الحديث عن مفاوضات مع السعودية وفق شروط تتناسب مع "مبادرة هرمز" التي تطرحها طهران للسلم والأمن في المنطقة. شعرت إيران أن صلح الجيران قد يسدّ أبواب التسلل الإيراني، ويفقدها أدوات للعبث بوحدة الخليج يتيح لها فرض نفسها راعيا لقضايا الأمن الإقليمي الاستراتيجي الذي لطالما لوحت به (ساعدها في ذلك الموقف الروسي) لتجاوز القطيعة التي تفرضها الولايات المتحدة على إيران منذ أن قرر الرئيس الأميركي دونالد ترامب سحب بلاده من الاتفاق النووي مع إيران (الموقع في فيينا عام 2015).

على أن ما يقلق إيران أن أمر الوفاق الخليجي يتم ضمن سياق دولي (غربا وشرقا) يدفع باتجاه إنهاء أزمة لم تعد تتسق مع السياق القادم. يستشرف السياق تموضعا دوليا جماعيا منسقا للتعامل مع "الحالة" الإيرانية الشاذة بصفتها عاملا مهددا للاستقرار الإقليمي ومهددا لسوق الطاقة العالمي، الذي للتذكير يهم روسيا والهند والصين واليابان وكوريا الجنوبية، قبل أن يهم دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. وما يقلق إيران أن عملية الوفاق الخليجي تأتي متأنية بحيث لم يصدر عن عواصم الخليج المعنية مباشرة بالنزاع أي تسريب كان من شأنه التشويش على جهود تُبذل بصمت على الطريقة الخليجية وضمن أعراف وتقاليد شعوب المنطقة.

تم توافق الخليجيين على التوافق. الأمر جرى أيضا بعد سلسلة زيارات قام بها وزراء من قطر والسعودية والكويت والبحرين وعمان والإمارات إلى واشنطن. لم تكن تلك الزيارات تهدف إلى نقاش مشاكل البيت الخليجي في العاصمة الأميركية، لكنها جميعا عادت بأجواء مشجعة داعمة لنزوع جماعي عام لطي تلك الصفحة والعبور إلى أخرى. كان التباين داخل الإدارة الأميركية واضحا قبل سنوات في مقاربة الأزمة الخليجية. رصَدَ المراقبون حينها مزاجا مختلفا بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية في عهد ريكس تيلرسون. كان الظاهر في الموقف الأميركي أن واشنطن محبذة لرأب الصدع داخل البيت الخليجي، لكن مواقف المتنازعين فرضت على الولايات المتحدة الرضوخ لذلك المزاج، وانتظار نضوج ظروف أخرى تتيح للخليجيين أنفسهم توفير الترياق المناسب للعلة.

واشنطن نفسها غيّرت جلدها، وبات وزير الخارجية مايك بومبيو أقرب إلى الرئيس دونالد ترامب مما كان عليه تيلرسون مع سيد البيت الأبيض. باتت مؤسسات الولايات المتحدة راعية وداعمة ومؤيدة لما أراده الخليجيون أنفسهم وما يشتغلون عليه لتجاوز خلافاتهم. والفكرة هنا أن قرار التوافق خليجي بحت ينطلق من حيثيات خليجية ومن تجربة السنوات الأخيرة، التي كشفت على الأقل كم أن هذا العالم مستفيد من أي خلاف، وكم أن هذا العالم أناني في مصالحه التي من أجلها قد يعادي إيران ويواجهها، ومن أجلها أبرم اتفاقا معها وهو يسعى لإبرام اتفاق جديد.

في جذور فكرة التوافق الخليجي قناعة داخلية بأن المنطقة تحتاج إلى العودة إلى الجذور الأصلية لقيام مجلس التعاون الخليجي. قام الاتحاد في بداية الثمانينات بتشكيل جبهة من دول ستّ تروم إقامة منظومة أمن تقي المنطقة ثورة تفاخر إيران بأنها تعمل على تصديرها. والواضح أن المجلس ما زال في حاجة إلى نفس الأسباب، وأن تصليب وحدته وتمتين بنيانه، يتطلبان ترميما بنيويا لحالة التصدع التي أصابت جدرانه منذ أزمة قطر، على نحو أضعف نجاعته، وهدد استمراره، وطرح أسئلة حول وجاهة وجوده.

أراد الخليجيون الدخول في عصر الوفاق والباقي تفاصيل. سمعتُ من شخصية خليجية أن قرار الوفاق استراتيجي لا رجعة عنه. كان ذلك حين شاعت من على منابر وسائل التواصل الاجتماعي داخل الدول المتنازعة أصوات مشككة في وجهة الوفاق، غامزة من قناة هذا الطرف أو ذاك بتحمل مسؤولية الأزمة وأوجاعها. كان من شأن التشكيك الخليجي أن يربك المشهد الغامض أساسا. بيد أن الرسالة كانت واضحة لا ارتباك بها: "ذاهبون إلى الوفاق ولا رجعة في أمر ذلك".

لم يكن المراقب ينتظر مفاجآت كبرى في قمة مجلس التعاون الأخيرة في الرياض. كانت أعراض الوفاق تتتالى، وقد يكون أبرزها مشاركة منتخبات السعودية والإمارات والبحرين في دورة كأس الخليج (خليجي 24) لكرة القدم في قطر. وقد يكون الأبرز من ذلك جهوزية الخليجيين وإقدامهم من خلال تلك المناسبة على تبادل التهليل بالوفاق القريب. وفيما انتظر المراقبون طبيعة مستوى التمثيل القطري ومعانيه، جاء هذا التمثيل عاليا في مستواه، عاليا جدا في مستوى الحفاوة والاستقبال، لكنه جاء أيضا معبرا عن المراحل التي قطعتها مداولات التوافق من حيث أن "الأزمة مستمرة"، وفق تعبير وزير الشؤون الخارجية الإماراتي أنور قرقاش، وأن "جهود الكويت مستمرة (...) والأفضل أن يبقى هذا الأمر بعيدا عن الإعلام"، وفق تعبير وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان.

شيء ما ينتظر إيران يجعلها شديدة التوتر جراء أمر داخلي يجري في منطقة الخليج. تشتبه طهران أن الولايات المتحدة، التي ينشغل رئيسها بحملة الحزب الديمقراطي لتفعيل إجراءات خلعه، كما انشغاله بحملته الانتخابية لتجديد نفسه في الانتخابات الرئاسية عام 2020، تعمل دون كل لخلق ظروف دبلوماسية اقتصادية وعسكرية تجبر إيران على الذهاب إلى طاولة المفاوضات.

بدا أن الاتحاد الأوروبي يبدل موقفه المحايد في شأن إيران باتجاه الاقتراب من موقف واشنطن. بات ما يصدر عن برلين وباريس ولندن متقاطعا في رفض سلوكيات إيران المهددة للاستقرار العالمي كما تراجعها الخطير عن التزاماتها داخل الاتفاق النووي.

بدا أيضا أن الولايات المتحدة تلوح بالعصا الغليظة، وأن ما تكشفه الصحافة الأميركية عن عزم وزارة الدفاع الأميركية على إرسال الآلاف من الجنود صوب المنطقة يعكس، على الرغم من نفي البنتاغون المتصنع لتلك التقارير، تحولا في عقيدة الدولة العميقة في الولايات المتحدة في التعامل مع إيران. وفي ما يتسرب بصمت، فإن العالم لا يغفر لإيران خطيئتها الكبرى في استهداف منشآت أرامكو في السعودية، وأن الصمت عن الأمر بانتظار ما ستفرج عنه "التحقيقات الرسمية"، يشي بأن نتائج تلك التحقيقات تنتظر ردا إيرانيا في مسائل السلم والحرب.

أيا كانت مآلات هذا التحول فإن قرار الخليج ذاهب باتجاه الوفاق، ذلك أنه الخيار الوحيد للتحصن خلف أسوار صلبة في حالة الحرب، وللحضور بقوة لفرض شروط على أية صفقة جديدة دولية مع إيران.

تنظرُ طهران إلى التوافق الخليجي بعين الريبة والقلق. تقدمت طهران برشاقة داخل التشققات الخليجية متبرّعة بدعم الدوحة، ملوّحة بتقديم الحماية إليها